عبد المؤمن بن علي الكومي صورة من واقع المشهد الثّقافي بحاضرة تلمسان

ABDELMOUMEN BENALI EL KOUMI; an image of the Tlemcen cultural reality

د. نجاة بلعباس

جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان

(الجزائر)

nadjetdz13@yahoo.com

تاريخ الاستلام:2023/01/02 القبول:2023/05/14

النشر:2023/05/31

ملخص:

استأثر موضوع التعريف بسير عظماء الأمّة ومنهم العالم عبد المؤمن بن علي بنصيب وافر من الاهتمام ومن هنا تبلور هدف هذا البحث في الكشف عن سيرة هذا العلَم التلمساني المتميّز الّذي تشبّع بثقافة دينيّة وعلميّة وأدبيّة؛ ثمّ عرض ما حقّقه من إنجازات مبهرة، ومن هنا نطرح الإشكالية الآتية: ما مدى إسهام هذه الشخصيّة في دفع الرّكب الثّقافي والحضاري الموحّدي؟ وللإجابة عن هذه الإشكالية اعتمدنا على مجموعة من المصادر والمراجع المتنوّعة والثريّة، فقسّمنا بحثنا إلى عنصرين تطرّقنا في أوّلهما إلى التّعريف بهذا العالم وحياته العلميّة، منصرفين في الثّاني إلى استطلاع الوضع الثّقافي لدولته ، وعرض أهمّ ما حقّقه من إنجازات ثقافية وحضاريّة لاسيما بحاضرة تلمسان.

لنتوصّل إلى استخلاص عدّة نتائج أهمّها التعرّف على سيرة حياة هذا العالم الفذّ، وعلى أبرز منجزاته؛ فبفضله تمّ تأسيس دولة الموحّدين على أساس الدّين والعلم والتّجديد، وتوحيد دول المغرب الإسلامي ودفعها إلى المزيد من الازدهار الثّقافي لتضاهي مثيلاتها في المشرق والأندلس.

الكلمات المفتاحية: عبد المؤمن بن علي؛ تلمسان؛ المشهد الثّقافي؛ الأدب؛ الحضارة.

Abstract :

The goal of this research is revealing the biography of the researcher Abdul-Moumen Benali who had a great knowledge in the fields of religious, scientific and literary culture. For this , we pose the following question : how did this personality help to push forward the advancing the MOWAHIDIYA cultural and civilizational process? in order to answer this question, we relied on a group of sources and references, so we divided our research into two sections, the first dealt with the definition of this scientist and his scientific life while the second focused on exploring the cultural situation of his country, and presenting cultural and civilizational achievements that he achieved in his town.

So we had several conclusions, the biography and the achievements of the researcher ; Thanks to him, the Almoahidin state was established and the Islamic Maghreb countries match their counterparts in the Mashreq and Andalusia.
Key Words: Abdel Moumen Benali ; Tlemcen ; Cultural scene ; literature ; civilisation.

*د. نجاة بلعباس

المقدمة:

تعدّ تلمسان من أهمّ المدن بالمغرب الأوسط وأشهرها، فقد احتلّت مكانة مرموقة بفضل محيطها الجغرافيّ الحيويّ وموقعها الحصين، فغدت مركز إشعاع علميّ وأدبيّ وفنيّ تُشعّ بالأنوار على كلّ بلدان المغرب الإسلاميّ عبر مراحلها المختلفة، وأنجبت جمعاً غفيراً من العلماء والأدباء والشّعراء وكذا الفقهاء والكُتّاب الذين أسهموا في نشر المعارف والعلوم، هذا إلى جانب إخوانهم من علماء المغرب والأندلس الوافدين إلى تلمسان، لذلك فإنّ المتصفّح لكتب التّراجم سيندهِش أمام الكمّ الهائل من علماء هذه المدينة وما أبدعوه في شتّى المجالات بخاصّة في مجال التّأليف والتّدوين.

وبالحديث عن هذه الشّخصيات الفذّة في حاضرة تلمسان، التي شاركت في بناء صرح الحضارة العربيّة الإسلاميّة بنِسَبٍ متفاوتةٍ، فأوردت المصادرُ سيرتها، نلحظ أبرزها وهو أمير الموحّدين وقائدهم عبد المؤمن بن علي التّلمساني الّذي أولَى تلمسان ونهضتها جانباً وافراً من اهتمامه وجهده، ومن هنا نطرح الإشكالية الآتية: ما مدى إسهام هذه الشخصيّة في دفع الرّكب الثّقافي والحضاري الموحّدي؟ وتحت هذه الإشكالية تندرج مجموعة من التساؤلات الفرعيّة أهمّها: من هو عبد المؤمن بن علي التّلمساني؟ وهل استطاع فعلاً أن يُوحّد بين مدن المغرب الإسلاميّ ويُحقّق نهضتها الثّقافية والحضارية؟

وقد كان انطلاقنا من فرضيّات أنّ هذا العالِم والقائد المحنّك بحكم ثقافته الدّينيّة والعلميّة وسياسته الرّشيدة سيتمكّن حتماً من بناء دولة قويّة وسيُسهم في تمديد أطرافها، كما أنّ سعة علمه واطّلاعه ستؤهّله لدفع حواضر دولته وعلى رأسها تلمسان –مسقط رأسه– إلى الرّيادة في مجال الفكر والعلم حتّى تساير الركب الحضاري.

ولعلّ الإجراء الأمثل الذي سنعتمد عليه في التأكّد من صحّة هذه الفرضيّات سيتمحور حول ضرورة استنطاق المصادر والمراجع في محاولة تعميم التّعريف بهذا العالم والأديب الفذّ عبر استعراض مسيرة حياته العلميّة والعمليّة، وتتبّع انجازاته الأدبيّة والثّقافيّة والحضاريّة عبر ثنايا دولة الموحّدين –ولاسيما حاضرة تلمسان– التي تشهد له بالسبق والتميّز دون غيره من الحكّام.

كما اعتمدنا في بحثنا هذا منهجيّة عامّة تمثّلت في تقسيمه إلى عنصرين أساسيين تناولنا الحديث في أوّلهما عن هذا القائد العالم والتعريف به وبحياته العلميّة، منصرفين في العنصر الثّاني إلى استطلاع الوضع الثّقافي العام للدولة الموحدية إبّان فترة حكمه وقبلها، وعرض أهمّ ما تحقّق على يده من إنجازات ثقافية وحضاريّة مسّت مختلف الأقطار لاسيما حاضرة تلمسان.

I. التّعريف بعبد المؤمن بن علي وبحياته العلميّة:

1.التّعريف بعبد المؤمن بن علي:

هو عبد المؤمن بن علي بن علوي القيسيّ المغربيّ الكوميّ التّلمسانيّ (487هـ – 558 هـ)، صاحب المغرب والأندلس، وردت ترجمة نسبه في عدّة مصادر منها معجم أعلام الجزائر حيث جاء فيه أنّه:«عبد المؤمن بن علي بن مخلوف بن يعلى بن مروان، أبو محمد، التّاجري الكوميّ النّدروميّ، أمير المؤمنين، مؤسّس دولة الموحّدين في المغرب العربيّ الكبير والأندلس» (نويهض، 1980م، صفحة 218)، فهذا العالم ينتمي إلى قبيلة كوميّة، وقد وُلد بقرية تاجرا بندرومة على سواحل تلمسان، وهناك نشأ وتعلّم، كما أنّه تربّى في أسرة فقيرة حيث اشتغل أبوه على صناعة الخزف، رحل عبد المؤمن إلى تلمسان وكانت آنذاك من أكبر حواضر العلم؛ فتتلمذ على يد بعضٍ من علمائها، ثمّ عزم على الرّحيل إلى المشرق لطلب المعرفة وأداء فريضة الحجّ، إلاّ أنّه عدل عن رأيه واستقرّ ببجاية فترة من الزّمن قبل أن يواصل شقّ طريقه نحو مختلف أقطار المغرب الإسلامي.

لقد ساعدت فترة مكوث عبد المؤمن بمالاّلة ببجاية على توطيد اللّقاء بينه وبين العالم الجليل ذائع الصّيت آنذاك؛ المسمّى محمد ابن تومرت أو المهدي وهذا الرّجل هو أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن تومرت، المنعوت بالمهدي الهرغي، صاحب دعوة عبد المؤمن بن علي بالمغرب، وهو من جبل السّوس نشأ هناك ثمّ رحل إلى المشرق طالبا للعلم فالتقى عددا كبيرا من علمائه، وحصّل طرفا هائلا من علمه، وكان ورعا خلوقا، شجاعا فصيحا، شديد الإنكار على النّاس فيما يخالف الشّرع (ابن خلّكان، 1997م، صفحة 46)، ولتحلّيه بكلّ هذه الخصال أُعجِب عبد المؤمن بشخصيته ونُبوغه وغزارة علمه فصحِبه وتخلّى عن فكرة رحيله إلى المشرق، وبالمقابل فإنّ ابن تومرت أحبّ عبد المؤمن وعمل على تفقيهه وأفضى إليه بأسراره وأعدّه الإعداد اللاّئق للتّحكم بالزّعامة والقيادة، ومهّد الأمور بين أتباعه بضرورة إتّباعه وإطاعة أمره وقد كان يمدحه قائلاً: (الصّلابي، 1998م، صفحة 97)

تَكَامَلَتْ فِيكَ أَوْصَافٌ خُصِّصْتَ بِهَا فَكُلُّنَا بِكَ مَسْرُورٌ وَمُغْتَبِطُ

السِّنُّ ضَاحِكَةٌ وَالكَفُّ مَانِحَةٌ وَالنَّفْسُ وَاسِعَةٌ وَالوَجْهُ مُنْبَسِطُ

فقد وُصف بالفصاحة وجزل المنطق وجهارة الصّوت، فلا يراه أحد إلاّ أحبّه بديهة، وبفضل مساعدة هذه العوامل لعبد المؤمن استطاع أن ينظّم دولته ويسير بها قُدُماً نحو الرّيادة على المغرب والأندلس، حين عمِل رفقة ابن تومرت على تقويض دولة المرابطين ثم بعد وفاة هذا الأخير، بُويعَ بالخلافة فتسلّم زمام الحكم وهو لم يتجاوز الثّلاثين من عمره، ولكنّه استطاع بذكائه وحكمته المتّزنة أن يبعث من جديد حركة الموحّدين وأن ينتصر على أعدائه وأن يوحّد المغرب كلّه تحت رايته، فاستولى على سبتة، وتلمسان، ووهران، وفاس، ومرّاكش، ليتّجه بعد ذلك لغزو دولة بني حمّاد وما يجاورها فتمّ له ذلك سنة 547هـ.

مكث عبد المؤمن ببجاية لمدّة شهرين مواصلاً بها توطيد حكمه، قبل أن ينتقل لفتح ما بقي من المدن متّجها نحو الشّرق إلى تونس ليكرّس الاستقرار عبر إفريقيا والمغرب، ويعبر فيما بعد إلى الأندلس، فهو قد حمل على عاتقه عبئاً ثقيلا يتمثّل في بناء دولة عظيمة مترامية الأطراف، فضلاً عن السعي إلى تكوين أجيال مثقّفة متعلّمة ومتّزنة، لتكون دولة الموحّدين قطبا هامّا من أقطاب العلم والحضارة، وذلك ما يؤكّده ابن أبي زرع في حديث له: كانت ولاية عبد المؤمن حسنة، وسيرته جيدة، لم يكن في ملوك الموحّدين مثله أحسن عطيّة ولا فروسية ولا ديناً ولا أكثر علماً منه (ابن أبي زرع الفاسي، 1943م، صفحة 133)، فوفقا لهذه الصّفات والمهامّ الجليلة لا يسع ذلك القارئ إلاّ أن يُسلّم بنضج هذا القائد العالم وعزمه على المزاوجة بين البناءين السّياسي والثّقافي معاً بدءً بالحاكم وصولاً إلى أصغر محكوم.

2. **حيثيات حياته العلميّة:**

تميّز عهد عبد المؤمن بن علي بالثّراء الثّقافي؛ فنفقت سوق العلم وتوسّعت وفيها أبدى اهتمامه بالعلوم والفنون، فنجده قد نشأ محبًّا للقراءة والدّرس، تعلّم الكتابة وحفظ القرآن الكريم وألَـمّ بشيء من السّيرة النّبوية، ودرس سائر العلوم الدّينية واللّغوية وتوسّع فيها حتّى أصبح عالماً كبيراً في مستوى أستاذه وشيخه ابن تومرت (بن قربة، 2011م، صفحة 15)، فقد تلقّى في صغره مبادئ القراءة والكتابة والقرآن الكريم والفقه والسّيرة النّبوية، وشبّ عليها ما جعل منه رجل علم وثقافة واسعة، وذلك بالضّبط ما يؤكّده المراكشي في معرض وصفه إيمان الرّجل وتبيان موقفه من المذهب المالكي آنذاك فيقول: «وكان الرّجل مسلما صحيح الإيمان شديد الحماس للدّين وكلّ ما يصلحه، فقد كان يعرف أكثر من غيره أنّ المالكية في المغرب والأندلس لم تكن مجرّد مذهب فقهي، بل كانت عنصرا حضاريا هامّا وأساس التّشريع والتّنظيم» (المراكشي ع.، 1997م، صفحة 114)، فثقافة الرّجل الدّينية صارت تتوسّع وذلك ما طبعه في أبنائه ورعيته، ثمّ ما لبث أن سار على خُطى شيخه ابن تومرت في نشر العلم بين الرّعية وجمع طلّاب العلم وتدريسهم من لدُن علماء عدّة وفدوا إليه فعرف قدرهم وأكرمهم.

فممّا يُعرف عنه فيذكره مترجمو سيرته أنّه «كان فقيهاً بارعاً، حافظاً للسّنة، عالماً متمكناً من علوم الدِّين، كاتباً، أديباً، شاعراً، إماماً في النّحو واللّغة، حافظاً للتّاريخ وأيّام النّاس، شديداً صارماً في تطبيق أحكام الدِّين، كثير السّفك لدماء المسلمين على الجُرم الصّغير، كثير البذل للأموال، محباً للغزو والفُتوح...» (نويهض، 1980م، صفحة 219)، فامتاز بالسّخاء وحُسن السّيرة وكثيراً ما كان يُقرّب العلماء من أهل الفكر والأدب، ويشارك معهم في العلوم الدّينية والدّنيوية، ويُرجِل لهم العطاء ويُغدق عليهم الصّلات السنيّة.

بل امتدّ إيثاره للعلم والعلماء أن راح يستدعيهم إليه أينما حلّ وارتحل، ويُقبِل على مجالستهم مهما كان موطنهم من أندلسيّين ومغاربة، ويستمع إليهم ويُشاركهم العلم والأدب فيُثْنِي على هذا، ويُصوّب ذاك، ويُقرّظ الآخر «بل لقد كان شاعراً (نُسِبت له أبيات) أو كان – على الأصحّ- ذوّاقة للشّعر، وكان فقيهاً، محباً لمرافقة العلماء، لا ليسمع منهم ويزداد علماً فقط، ولكنّه كان يصطنعهم حتّى في خرجاته الجهاديّة الكثيرة، من أجل أن يظلّ موصولاً بمناخ العلم الذي أحبّه وشغف به ورحل في طلبه منذ النّعومة» (مجموعة مؤلّفين، 2002، صفحة 134)، فإلى جانب مهامه في تسيير شؤون الدّولة الموحديّة، فهو لم يغفل عن نصيبه من العلم فكان يعقد النّدوات العلميّة في قصره ويصل إليه العلماء والحفاظ، ومن جملة ما أوردته المصادر من شعره ما ذكره عبد الله كنّون من أبيات لعبد المؤمن يقول فيها: (كنّون، 1960م، صفحة 641)

أَقِيمُوا إِلَى العَلْيَاءِ هُوجَ الرَّواحل وقُودُوا إِلَى الهَيجَاء جُردَ الصَّوَاهِل

وقُومُـوا لنَصرِ الدِّينِ قَومَة ثَـائرٍ وشُدُّوا علَى الأعدَاء شَدَّة صَائِل

فَمَا العِزُّ إلاَّ ظَهرُ أجْرَدَ سَابِـح يفُوتُ الصَّبَـا فِي شَدِّهِ المتواصِـل

ففي هذه الأبيات قام عبد المؤمن يستنفر العرب من بني هلال للغزو بجزيرة الأندلس، وهي أبيات رائقة تكشف عن مقدرته الشّعريّة الفريدة، وهو ما أَلِفَهُ فيه أبناؤه وشعبه من بعده، فصاروا يتظاهرون في الأشعار وينافسون علماء المغرب والأندلس.

ويبدو أنّ عبد المؤمن بن علي شعَر بعلّة ما، أو هو القدر يجرّ المرء إلى حيث يريد؛ إذ إنّ الرّجل« توفّي وترك ستّة عشر ذَكراً وبِنْتَيْنِ، فخَلفه منهم أبو يعقوب يوسف وسار بسِيرة أبيه...» (الميلي، 1359هـ، صفحة 310)، فأغلب الظّن أنّه توفّي بمدينة سلا بالمغرب الأقصى في طريقه إلى الأندلس، ودُفِنَ إلى جانب ابن تومرت، فامتاز عصره بالاستقرار، وعمّ الرّخاء واتّسعت المعايش، فلم ير أهل المغرب أيّاماً مثل أيّامه، ونتيجة لاستتباب الأمن تحقّقت في عهده نهضة عظيمة مسّت العديد من الجوانب، بخاصّة ما تعلّق بالجانب الفكريّ والثقافيّ، فهو وفقاً لِمَا مُنِي به من الأوصاف وتمكّنه من شتّى العلوم والمعارف المتنوّعة أبان عن موسوعيّته، وحبّه للعلم وسعيه الحثيث إلى

المشاركة رفقة رعيّته في رفع مشعل حضارة الموحّدين، ولولا مسؤوليات الفتوح والتوسّعات الكثيرة تّجاه دولته لَوصلتنا من نتاجاته المصنّفات العديدة.

II.الانجازات الثّقافية والحضاريّة على عهد الموحّدين:

1. واقع الوضع الثّقافي الموحّدي:

استطاع الموحّدون بقيادة عبد المؤمن بن علي القضاء على حكم المرابطين، وتأسيس دولة قويّة مترامية الأطراف من المغرب الأدنى إلى غاية الأندلس، هذا فضلاً عن تلك الإنجازات السّياسية والعسكريّة والثّقافية بشكل خاص، وكأنّهم وجدوا في هذه البلدان الجوّ الملائم لترويج ما كان محظورًا من قبلُ في عهد المرابطين فعملوا على تأسيس المدارس، وعمّروا المعاهد، وجلبوا كبار العلماء، واقترحوا تدوين الكتب، وعقدوا المناظرات والامتحانات، كما جمعوا المجامع العلميّة المتنوّعة، وأسّسوا خزائن الكتب، وسبقوا إلى التّعليم الإجباري وابتكروا التّعليم المجاني، ووضعوا مناهج التّعليم، واهتمّوا بالتّرجمة ... (المنّوني، حضارة الموحّدين، 1989م، صفحة 14)، فكلّ هذه العوامل بعثت على تنشيط حركة التعليم بالمدارس وأسهمت في ازدهارها ما أدّى إلى تقاطر طلبة العلم عليها من كلّ حدب وصوب.

فالطلبة الملتحقون بهذه المعاهد مخيّرون بين التّعليم الإجباري أو الاختياري، «والظّاهر أنّ الموحّدين تأثّروا بالأساليب التّعليميّة الّتي نادى بها الغزالي كإدماج الرّياضة، ومزج الأدب بالعطاء، كما قاموا بسنّ إجباريّة التّعليم باللّسانين العربي والبربري، دون أن يستثنوا العنصر النّسوي بل منحوه حقّه من التّعليم» (ديب، 2011، صفحة 96)، فقد كان العلماء الكبار يشاركون في رسم الأهداف النبيلة لتسير وفقها الأجيال القادمة، بالإضافة إلى اعتناء الحكّام بنفقات طلاّب العلم وبخاصّة الحفّاظ منهم، حيث شجّعوا على اكتساب المعارف ماديّا ومعنويّا، وامتازوا بمنح الجوائز والأعطيات لأهل العلم على اختلاف أجناسهم وأعمارهم، ما جعل الرّعيّة تنجذب إليهم وتستكين لحكمهم وتقتدي بفعلهم؛ نعم لأنّهم النّخبة بالمجتمع وسيكونون الشّاغلين للمناصب الإدارية الكبرى وحكّام المستقبل المطبّقين تعاليم الدولة.

وقد عمل الموحّدون على إقامة المدن وجعلها مراكز علميّة وثقافيّة تضمّ أكبر عدد ممكن من المتعلّمين والعلماء من أبناء المنطقة، إضافة إلى الوافدين من أماكن أخرى وإضفاء جوّ الارتشاف والتّنافس العلميّ بين الأشخاص والمراكز الثّقافية، ممّا دفع بالنّاس إلى البحث والكشف في ميدان العلوم، وبالأخصّ في العلوم الدّينية وما تعلّق بالكتاب والسّنة « فظهر الاشتغال بعلم التّفسير وعكف النّاس على تفهّم كلام الله عزّ وجلّ ودراسته دراسة علميّة صحيحة، ونبغ المفسّرون العديدون مثل: عبد الجليل القصري، والحرّالي، والمزدغي وغيرهم، كما انتشر علم

الحديث رواية ودراية، وأقبل النّاس على الأخذ عن رجاله والتّأليف في فنونه المختلفة » (كنّون، 1960م، صفحة 120)، فكان من الضّروري أن يتعلّم الطّلبة كتب الصّحاح والسّنن والموطّأ، وأن يطّلعوا على كتب الفقه والتّصوف، وسائر المعارف التي تعرّفهم بدينهم وتنمّي فكرهم وتوسّع مداركهم.

هذا إلى جانب العلوم اللّسانيّة والأدبيّة الّتي تُعدّ العنصر الأساس لفهم العلوم الدّينيّة من لغة، ونحو، وبيان، وعروض، وبلاغة، فقد شهد عصر الموحّدين حركة لغويّة وأدبيّة نشيطة وبرز فيه علماء أجلاّء منهم يوسف بن عبد المؤمن، كما «ظهر لهذا العهد لغويّون وحُفّاظ كبار، منهم محمد بن عبد المنعم الصّنهاجي السّبتي، فلم يستظهر أحد في زمنه منها ما استظهره، وكذا أبو الخطاب بن دحية، وأخوه أبو عمرو بن دحية» (المنّوني، العلوم والآداب والفنون على عهد الموحّدين، 1977، صفحة 61)، فلمّا طُبعت الدولة بطابع العلم ازدهرت الآداب ولاسيما الخطابة منها قصد نشر الدعوة الموحدية فأجادها حقّ الإجادة المهدي، رفقة ثلّة من تلامذته من بينهم عبد المؤمن بن علي ممّن كانوا يخطبون باللّغة العربيّة (بن قربة، 2011م، صفحة 48)، فكان لخطبهم الأثر البالغ في نفوس الرعيّة.

بالإضافة إلى سائر أشكال الكتابات النثرية كالتوقيعات والرّسائل « فقد جمع المستشرق الفرنسي (ليفي بروقنصال) رسائل الموحّدين التي بلغت سبعا وثلاثين رسالة من بينها ثلاث وعشرين كُتبت في حياة عبد المؤمن، ومن أشهر كُتّابه نذكر: أبو جعفر بن عطية، وأخوه عقيل بن عطية، وأبو الحسن بن عياش، وأبو الحكم المرضي وأبو القاسم القالي » (بن قربة، 2011م، صفحة 49)، وما كثرة الرسائل بعهد عبد المؤمن إلاّ دليل قاطع على ازدهار هذا الأدب وذيوعه بين النّاس، كما لا ننسى وجود أعلام آخرين من أمثال: أبي موسى الجزولي صاحب المقدمة الجزولية في النّحو، وابن المعطي صاحب الدّرة الألفية التي نظمها ضمن الشّعر التعليمي الهادف فيقول فيها: (ابن عبد المعطي، 2010، الصفحات 17-18)

بِاللهِ رَبِّي فِي الأُمُورِ أَعْتَصِــــــــمْ	القَــوْلُ فِي حَـــدِّ الكَــلاَمِ وَالكَــلِمْ
اللَّفظُ إِنْ يُفِـدْ هُوَ الكَـــــــلاَمُ	نَحْوُ:مَضَـى القَــوْمُ وَهُـــمْ كِــرَامُ
تَأْلِيفُــهُ مِـنْ كَلِمٍ وَاحِـدُهَــــا	كَــلِمَــةٌ أَقْــسَامُــهَا أَحُــدُّهَــا
وَهْيَ ثَلاَثٌ لَيْسَ فِيهَا خُلْـــفُ	الاسْـــــمُ ثُمَّ الفِعْـــلُ ثُمَّ الحَـــرْفُ

وهذا النّوع من القصائد والأراجيز يُنظم لغرض تسهيل الفهم والحفظ على الطلبة ونشر العلم وتعميمه، حيث ابتغى ابن المعطي من ألفيّته في النّحو تيسير قواعد اللّغة العربيّة للحفّاظ، فتعرّض للّفظ وأقسام الكلام من أسماء وأفعال وحروف، ثمّ عرّج إلى علامات الإعراب وغيرها من القواعد التي يصعب الإلمام بها كلٌّ على حِدىً في زمنٍ وجيزٍ، بمساعدة ذلك الإيقاع الموسيقي الذي يحبّبها للآذان فيُقبل عليها المتعلّمون وبالتّالي قد أسهم إسهاماً

فعّالاً في ميدان المنظومات التعليميّة، وأبان عن حذقه وتمكّنه من العربيّة وقواعدها، وقدرته على عرضها في قالب شعريّ متميّز، وكذلك فعل غيره من المؤلّفين فيما دوّنوه في هذا المجال.

أمّا عن العلوم العقليّة فهي الأخرى كان لها نصيب من النّهضة في هذا العهد، بحيث انتشرت انتشاراً واسعاً ولقِيت إقبالاً لم تلقه قبلها أصناف العلوم في أيّ عصر من العصور «حتّى لقد كان هذا عصرها الذّهبي في المغرب، وكان الموحّدون – والحق يُقال – أشبه الدّول الإسلاميّة بالعبّاسيّين في الأخذ بضبع [كذا] هذه العلوم وتنشيط رجالها، لكن أربى عليهم في ذلك كإرباء المأمون على سائر العبّاسيّين يوسف بن عبد المؤمن، فهو مأمون هذه الدّولة الّذي ناصر علوم الفلسفة ووَالى أهلها، وكان هو نفسه متحقّقا بكثير من أجزائها مشاركًا في جملة من فنونها» (كنّون، 1960م، صفحة 133)، فكان العلماء الموحّدون مولعون كلّ الوّلع بهذه العلوم ومصنّفاتها، الّتي طلبوها ونقّبوا عنها وجلبوها بأغلى الأثمان وعمّروا بها المكتبات العامّة والخاصّة.

فازدهرت العلوم العدديّة، والطبّ، والهندسة، والكيمياء، والجغرافيا، والفلسفة، وعلم الهيئة، وأُلِّفَتْ حولها الكتب منها: اللّباب في مسائل الحساب لعلي بن محمد بن فرحون القيسي، وجامع المبادئ والغايات لأبي علي المرّاكشي، وطبقات الأطبّاء لأبي إسحاق إبراهيم بن علي بن محمد السّلمي المغربي، والجامع لصفات أشتات النّبات للشّريف الإدريسي، وغيرها من المصنّفات الّتي يطول المقام بذكرها.

وبذلك تعدّدت مظاهر النّشاط الفكري الموحّدي، فنجد أنّ طلاّب العلم شدّوا الرّحال إلى حواضر العلم المختلفة من المشرق والمغرب، وها هو ذا الشّيخ الفقيه أبو الحسن علي بن أبي نصر فتح بن عبد الله من أهل بجاية تتلمذ على يدي عدّة شيوخ وفي أماكن متعدّدة منهم: أبو محمد بن يونس بن يحي الهاشمي سمع منه بمكة شرّفها الله تعالى، وسمع ببيت المقدس من أبي الحسين بن جبير، وسمع بدمشق من أبي القاسم عبد الصّمد محمد المارستاني ...وسمع بالإسكندرية من أبي القاسم الحسن بن عبد السّلام (الغبريني، 1979م، الصفحات 138-139)، وكلّ هذا بغية الاستزادة وتبادل الكتب والعلوم والآراء الفقهية واللّغوية ضمن مجالس العلماء والمفكّرين، والنّدوات المنعقدة عبر مختلف المراكز والحواضر، كما لا نغفل عن تلك المذاكرات والمناظرات بين الأدباء والعلماء والشّعراء؛ ممّا أكسبهم نضجاً ثقافياً وعلمياً يعترف به كل من سمع بهم أو اطّلع على مدوّناتهم، فسجّلوا أسماءهم بأحرفٍ من ذهب.

2. الإنجازات الثّقافيّة والحضاريّة لعبد المؤمن بن علي:

يعدّ محمد بن تومرت المشهور بالمهدي زعيم الموحّدين الرّوحي وقائدهم السّياسي، والممهّد لثورة الموحّدين على المرابطين إلاّ أنّ خليفته عبد المؤمن بن علي هو صاحب التّحقيق والتّنفيذ، والقائم على توحيد أقطار المغرب الإسلاميّ بكلّ أمانة مثلما أرادها ابن تومرت؛ دولة موحّدة وفق الحضارة الإسلاميّة مطبوعة بطابع الدّين والتّجديد والعظمة « نعم لقد كان عبد المؤمن بالنّسبة لدعوة الموحّدين كيوسف بن تاشفين بالنّسبة لدعوة المرابطين، هو الّذي أبلغها كمالها وقرطس أهدافها ونهض بأعبائها المادّية والمعنويّة نهوضاً تاماً، فلم يُخلف ظنّ إمامه حين اختاره لصُحبته ومعاونته على مهمّته منذ لقيَه أوّل مرّةٍ » (كنّون، 1960م، صفحة 104)، فبدأ بفتح بلاد المغرب الأقصى ثم المغرب الأوسط ليصرف اهتمامه فيما بعد إلى المغرب الأدنى والأندلس.

امتلك جيش الموحّدين أغلب مدن المغرب الأوسط، وأهمّها مدينة تلمسان وأحوازها سنة539هـ وأعلن أهلها ولاءهم لعبد المؤمن الذي « أقام بها سبعة أشهر اشتغل فيها بتنظيم شؤون الدّولة والإدارة وإصلاح ما جرّته الحرب من فساد، وولّى عليها سليمان بن محمد بن وانودين الهنتاتي وترك معه ولده يوسف معاضداً له وناصراً » (الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، 1965م، الصفحات 297-298)، فكيف لا يسعى عبد المؤمن لإنقاذ تلمسان من سيطرة المرابطين وهي مسقط رأسه ومركز استراتيجي هام بالمنطقة المغاربيّة ككلّ!؟ وهو بذلك لم يتوقّف لدى هذا الحدّ بل راح يوحّد الصفوف بين الرعيّة ويزرع فيهم عقيدة قائده وشيخه ابن تومرت، بغية توطيد سلطان التوحيد في كلّ ربوع المغرب الإسلامي ولا سيما بحاضرة تلمسان، ليضمن من خلالها حماية دولته واستمراريتها، لتتوالى نشاطاته الحربية بفتح فاس ومكناسة ومراكش وانتزاع كلّ ما يمتّ للمرابطين بِصلة هناك وتشييد دولة الموحّدين التي شملت سائر دول المغرب والأندلس.

ففترة الموحّدين بتلمسان أو المغرب الأوسط وحتّى المغرب الإسلامي بشكل عامٍ، عرفت العديد من التّطورات في جميع نواحي الحياة، حيث نجد أنّ عبد المؤمن قد أمر بالبناء والتّشييد من ذلك إقامته لأسوار تاجرا مسقط رأسه وحصنها وجمعها، كما ذكر بن أبي زرع أنّ عبد المؤمن « أمر سنة 540هـ/1145م ببناء سور تاجرارت [تكرارت أو تقرارت] من تلمسان وبناء جامعها، وتحصين المدينة وإعلاء أسوارها» (الدرّاجي، 2011م، صفحة 132)، فنظراً للأهميّة الفائقة للمساجد لارتباطها بالعبادة والتّعليم فقد أمر الخليفة الموحّدي ببناء المساجد في كلّ أرجاء البلاد، وما يلحق بها من كتاتيب ومدارس.

فالمدارس وبالرّغم من أنّ المصادر التّاريخية قد أرّخت لما أسّسه الموحّدون من مدارس في أماكن مختلفة من بلاد المغرب، فإنّها بالمقابل أحجمت عن الحديث عن مدارس حاضرة تلمسان قبل القرن السّابع الهجري من لدُن حكّام آخرين، وعبد المؤمن بن علي « أسّس المدارس بمراكش منها المدرسة العامّة لتخريج الموظّفين، والمدرسة الملكيّة

لتعليم أمراء الموحّدين، والمدرسة التي أسّسها بالرّباط لتعليم فنّ الملاحة، ثمّ عمد إلى تعميمها على كافّة المغرب» (ديب، 2011، الصفحات 258-259)، فكان لتلمسان نصيب وافر منها قصد تلقّي المعارف الأساسيّة من قراءة وكتابة وحفظ كتاب الله عزّ وجلّ وسنّة نبيّه الكريم (صلى الله عليه وسلم)، ثم سائر العلوم اللاّزمة للدّين والدّنيا، فغدت هذه البناءات مراكز للعلوم والآداب، وقد قرنها عبد المؤمن بالخدمات العسكريّة لتوفير الأمن والاستقرار وضمان استمرار التّحصيل العلميّ، ممّا أسهم في إطلاق العنان لحرية التّفكير والتّعبير عن الرّأي.

أجل؛ لقد كان عبد المؤمن يعدل بين الرّعية ويرفق بحالهم «وكان ملكاً عادلاً سائساً، عظيم الهيبة عالي الهمّة، كثير المحاسن متين الدّيانة قليل المثل، كان يقرأ كلّ يوم سُبعًا ويجتنب لبس الحرير، ويصوم الاثنين والخميس، ويهتمّ بالجهاد والنّظر في الأمور كأنّما خُلق للمُلك» (حمّيش، 2011م، صفحة 272)، فعمُرت البلاد في أيّامه وزادت محبّته لطلاقة وجهه وحسن ثنائه وجوده، كما أنّ مجلسه كان مجلس وقار وهيبة، فمن الأمثلة على إعلائه شأن العلم أنّه «ربّى الحُفّاظ وكان يُدخلهم في كلّ يوم جمعة بعد الصّلاة داخل القصر...وهم ثلاثة آلاف وقصدهم سرعة الحفظ والتربية على ما يريده ...فيأخذهم يوما بتعليم الرّكوب ويوما بالرمي بالقوس...في بحيرة خارج بستانه فتأدّبوا بهذا الأدب...وكانت نفقتهم وسائر مؤنتهم من عنده» (ابن الخطيب، د ت، صفحة 114)، فقد كان للحفّاظ أو صغار العلماء نصيب وافر من التقدير حتى على شيوخ الموحّدين باعتبارهم علماء الغد.

حتّى إنّه من شدّة رغبته في العلم وتعلّقه بأهله قام برفع الحظر عن طائفة من الكتب التي كان المرابطون يحذّرون من قراءتها واستنساخها مثل كتب الغزالي«كما أمر بحفظ كتب التّوحيد وكتاب الموطّأ وهو المسمّى "أعزّ ما يُطلب" لابن تومرت، وغير ذلك من كتب المهدي، قاصداً من وراء كلّ هذا تدريب الطّلبة على سرعة الحفظ والفهم وتربيتهم تربية متكاملة الجوانب، ونَفَقَةُ كلّ هذه المساهمات على حسابه» (الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، 1994م، صفحة 25)، في محاولة لبعث النّشاط الفكريّ عبر كلّ أفراد الدّولة، ونشر مختلف الكتب بتنوّع مشاربها؛ وأتاح للنّاس قراءتها في أرجاء المساجد ولم يُتلفها يوماً أو يأمر بإحراقها كما فعل المرابطون ببعض الكتب اعتقاداً منهم أنّها ضارّة بالعقيدة.

ومنذ تقلّد عبد المؤمن حكم الموحّدين وهو يحرص على رفد الحركة الفكريّة والثّقافيّة، وتقريب أهل العلم من أدباء وشعراء وعلماء فكان دائما «مؤثِراً لأهل العلم، محبّا لهم، محسناً إليهم، يستدعيهم من البلاد إلى الكون عنده والجوار بحضرته، ويُجري عليهم الأرزاق الواسعة، ويُظهر التّنويه بهم والإعظام لهم... » (المراكشي ع.، 2006م، صفحة 150)، كثير مجالسة الشّعراء على اختلاف أوطانهم من مشارقة ومغاربة وأندلسيّين، للمناظرة والمساجلة يصاحبها الاستماع الجيّد والنّقد البنّاء والقريض الصّائب والبذل الجيّد.

وقد اعتاد الخليفة عبد المؤمن على إثراء رصيد الأمراء الموحّدين الفكري والأدبي داخل قصورهم؛ بعقد المجالس والمناقشات العلميّة وذلك باستقدام كبار رجال الدّولة والعلماء وفطاحل الأدباء لتُعرض أمامهم مسألة من المسائل العلميّة المهمّة فيتناقشون حولها ويُدلي كلّ واحد منهم برأيه« ومن الموضوعات العلميّة التي كانت تُعرض في المجالس العلميّة، الموطّأ الذي ألّفه ابن تومرت حيث عرضه أبو يعقوب يوسف بن وانودين في أحد مجالس الخليفة عبد المؤمن، في جمع من أشياخ الموحّدين» (حسن، 1980م، الصفحات 315-316)، وهنا لمّا أقام عبد المؤمن هذه المجالس لم يهدف منها إلاّ أن يعمل على ترسيخ عقيدة التوحيد وتوطيد تلك اللّحمة بين الحكّام والرعيّة، فيُسهم كلّ واحد منهم على اختلاف موقعه في نشرها عبر مختلف النّدوات أو المناظرات، وهذه الأخيرة ستغدو بدورها ميدانا خلاّقا يحثّ كلّ من يحضرها أو يسمع عنها على مواصلة الدّراسة وتعميق البحث بشكل متواصل.

ولمّا عُرِفت الفائدة المستخلصة من كثرة المناظرات ولاسيما إسهامها في خلق ذلك الجو من التّنافس العلمي الشّريف حول مختلف المسائل «فقد ارتقى فنّ المناظرات في عهد عبد المؤمن بن علي المشهور بحرّية الرّأي إذ أطلقها للنّاس، فكثرت مجالس العلم الّتي كان يعقدها الخلفاء الموحّدون مع الأشياخ وكبار العلماء، ومنهم الوافدون عليهم مثل الّذين جلبهم إلى يوسف بن عبد المؤمن أبو بكر بن طفيل» (ديب، 2011، صفحة 160)، والمتأمّل فيما وصلنا من هذه المناظرات سيُدرك حتماً بأنّها قد ضمّت شتّى أشكال التّحليل والتّعليل والمحاورة، بهدف الوصول إلى حلّ القضايا المختَلَف فيها ومن ثمّة تُجنى الفائدة وتُعمّم المعرفة على الجميع.

ومن جملة الأمثلة كذلك ما يورده الغبريني في مؤلّفه الرّائق عن تلك المجالس العلمية التّي كانت تُقام في عدّة أماكن -برعاية من الخلفاء والعلماء والمفكّرين- في معرض حديثه عن مجلس الشّيخ أبي الحجّاج يوسف بن سعيد بن يخلف الجزائري فيقول: «كان له مجلس واسع الحضور يحضر فيه كثير من الطّلبة، ويقرأ كلّ واحد منهم باختياره، حضرت مجلسه يقرأ فيه الإيضاح والجمل والمفصّل ويعرب فيه الشّعر ويقرأ فيه الأدب، ويطول مجلسه لكثرة الطّلبة وكثرة تفنّنهم فيما يقرؤون» (الغبريني، 1979م، صفحة 77)، فكلّما كان الشّيخ المقرئ ذو صيت ذائع ومكانة مرموقة إنتاجا وتنوّعا في برنامجه مثل: حال الشيخ أبي الحجّاج، إلاّ والتفّ حوله كمّ هائل من طلبة العلم واشتدّ بين يديه النّقاش وتعدّدت المشاركات الفردية والجماعية من دون جدال أو تعصّب.

وبما أنّ النّاس على دين ملوكهم فقد صار الاعتناء بالأدب من لَدُنِ الحكّام إلى تقليد حميد عند سائر الرّعية، فاهتمّوا بجُلّ مواضيعه وتصدّوا له بالحفظ والدّرس وعقد المجالسات والمفاضلات، ومن أمثلة ذلك تلك النّدوة الأدبيّة الّتي أقامها عبد المؤمن بن علي على ظهر جبل الفتح فتبارى فيها بين يديه الأدباء المغاربة والأندلسيون من كتّاب وشعراء (المنّوني، حضارة الموحّدين، 1989م، صفحة 96)، حيث كان قد ابتنى به القصور العظيمة فوفد النّاس من

كل حدب وصوب أكثرهم الشّعراء المجيدون من أمثال: الطّليق المرواني، وبن سيّد الاشبيلي، ومحمد بن غالب البلنسي المعروف بالرّصافي، وأبو عبد الله محمد بن حبوس حيث قال في مدح الخليفة : (كنّون، 1960م، صفحة 111)

بَلَغ الزَّمَانُ بِهَدْيِكُـــمْ مَا أَمَّلاَ وَتَعَلَّمَتْ أَيَّامُهُ أَنْ تَعْـــدِلاَ

وَبِحَسْبِهِ أَنْ كَانَ شَيْئًا قَابِـــلاً وَجَدَ الهِدَايَةَ صُورَةً فَتَشَـكَّلاَ

وعلى غراره يضيف الجراوي شاعر الخلافة الموحّدية قائلا: (بن قربة، 2011م، صفحة 54)

أَعْلَيـتَ دِيـنَ الوَاحدِ القَهَّـار بالمشْـرفِيّـة والقَنَـا الخطَّـار

ورَأَى بِهِ الإِسْـلاَم قُـرّة عَيْنِـه وَغَـدَت بِكَ الغرَّاءُ دَارَ قَرار

وهذا إنّما يدلّ على العناية الفائقة بالحياة الأدبيّة والفكريّة من لدُنِ الموحّدين عرباً وبربراً، بدواً أو حضراً، ويرجع كلّ الفضل إلى الخليفة عبد المؤمن بن علي الّذي وظّف قدرته وعقله ووقته، وكلّ ما وجده من وسائل للنّهوض بهذا الجانب الأساس في حياة الأمم فآتت أُكلاً كثيرا ومتنوعاً.

ثم بعد وفاة عبد المؤمن تولّى أبناؤه زمام الأمور وواصلوا سياسة أبيهم في البناء والتّعمير الحضاري والثّقافي لدولة الموحّدين، فهُم أيضا كانوا على دراية بمختلف العلوم والآداب والفنون، وحقّقوا إنجازات جليلة فيما يخصّ نظام الدّولة ومؤسّساتها المتعدّدة.

الخاتمة:

بعد هذه الدّراسة الّتي تمثّلت في التّعرف على نموذج فريد من النّماذج الثّقافية، وهو سيرة الابن البارّ لحاضرة تلمسان ولدولة الموحّدين عبد المؤمن بن علي، ذلك القائد المحنّك والعالِم المتديّن الموسوعي الذي أتحفتنا المصادر والتّراجم بمساحات واسعة عن حياته الغنيّة، باعتباره أعظم مؤسّس لدولة إسلاميّة قويّة وهي دولة الموحّدين، وطبعها بطابع خاص يندر وجوده في أيّة حكومة آنذاك وهو طابع العلم والتجديد والعظمة، وأهمّ الإنجازات الحضاريّة الّتي قام بها في جميع مجالات الحياة –بعدما وجد البيئة الثقافية الموحديّة مواتية لنبوغه– ولاسيما في الميادين الفكريّة والأدبيّة والعلميّة منها كونه حاكما فذّا، وعالماً متديّناً، وأديباً مفلقاً، جعل أبناءه ورعيّته من بعده يفتخرون بأعماله الجليلة ويواصلون مسيرة التشييد الحضاري وفق ما زرعه فيهم من قيم ومبادئ؛ فإنّنا توصّلنا إلى مجموعة من النّتائج هي كالآتي:

- لقد عُرف عبد المؤمن بن علي منذ صغره بشخصيته الفريدة وغزارة علمه ونُبوغه، فامتاز عن سائر الخلفاء بميزات أهّلته لأَنْ يكون قائداً بحقٍّ، وأديباً مثقّفاً ذا هيبة ووقار، حقّق ما لم يُنجزه أحد من قبله، وبقي ذكره مخلّداً في سجلّ التّاريخ.
- استطاع عبد المؤمن بن علي أن يوحّد بين دول المغرب الإسلاميّ، وأن يؤسّس دولة مترامية الأطراف مطبوعة بطابع الدّين والعلم والتّجديد، فلم ير أهل المغرب أيّاماً مثل أيّامه، فتحقّقت في عهده نهضة عظيمة مسّت عديد الجوانب، لاسيما ما يخصّ الجانب الفكريّ والثقافيّ.
- حرص الموحّدون عبر كلّ عصور دولتهم على تشييد المدن وتحويلها إلى مراكز ثقافية وعلمية متميّزة تعجّ بالعلماء والمتعلّمين، الوافدين إليها من كلّ حدب وصوب للارتشاف من معين علمها الصّافي في شتّى أصناف العلوم والمعرفة، فنبغت في سماء الدّولة أسماء سجّلت تاريخها بأحرف من ذهب.
- تعدّ تلمسان واحدة من أهمّ مراكز الدّولة الموحّدية، ورافداً من الرّوافد الثّقافية بالمغرب الأوسط على مرِّ العصور، فما لبثت أن صارت تزخر بكمٍّ هائلٍ من العلماء والأدباء والمثقّفين، ومن أبرزهم القائد المحنّك والعالِم البارع عبد المؤمن بن علي التّلمساني، ومن تأسّى به من أبنائه ورعيّته.
- أسهم الخليفة عبد المؤمن رفقة ثلّة من العلماء الأجلاّء في ازدهار الحياة الثّقافية والحضاريّة في عهده أيّما إسهام، فشيّد الجوامع والكتاتيب والمدارس وحسّن مناهجها التربويّة والتعليمية، بل وشجّع على تدارس شتّى الكتب ولاسيما المحظورة قبله بغية تعميق الدّراسات والبحث.
- شدّد عبد المؤمن على ضرورة عقد المجالس العلمية والمناظرات والنّدوات الأدبية عبر ربوع الدّولة الموحديّة، وكان من المشاركين فيها والدّاعمين لها ماديّا ومعنويا، وأصبحت مدن المغرب تضاهي مثيلاتها بالمشرق والأندلس، فبرز فيها أعلام كُثُر وأُلِّفَتْ المصنّفات النّفسية في مختلف جوانب المعرفة.

وقبل أن نضع نقطة النهاية لهذا الموضوع كان لابدّ أن نشير إلى ثراء مثل هذه المواضيع وقيمتها الجليلة إن هي أُخذت بعين الاعتبار وطُبّقت على مجتمعاتنا اليوم حتّى تطبعها بطابع ديني قوامه كتاب الله المحكم، وطابع علمي مفاده كسب المزيد من المعارف وتطويرها، وطابع التّجديد الذي يمنح التوازن بين الموروث الأصيل وضرورة الانفتاح على كلّ ما هو عصري بشروط، ثمّ ترسيخ هذه العناصر مجتمعة على صعيد مجتمعاتنا المعاصرة؛ ولذلك ينصبّ اقتراحنا حول الحرص الشديد على مثل هذا التوجّه الحضاري بتتبّع سيرة الأعلام والعلماء الفاعلين في المجتمعات السّابقة، وإسهاماتهم الفريدة واستشفاف حصيلة خبراتهم –ليس فقط لمجرّد المعرفة– بل للاستفادة منها وتطبيقها بما يتلاءم ومتطلّبات العصر الحديث.

قائمة المراجع:

- أبو العبّاس أحمد الغبريني. (1979م). *عنوان الدّراية فيمن عُرف من العلماء في المائة السّابعة ببجاية. ط2.* بيروت: دار الآفاق الجديدة.
- بوزيّاني الدرّاجي. (2011م). *أدباء وشعراء من تلمسان. ج1. دط.* الجزائر: دار الأمل للدّراسات والنّشر.
- حسن علي حسن. (1980م). *الحضارة الإسلامية في المغرب والأندلس عصر المرابطين والموحّدين. ط1.* مصر: مكتبة الخانجي.
- شمس الدّين أحمد ابن خلّكان. (1997م). *وفيّات الأعيان وأنباء أبناء الزّمان. مج5. دط.* بيروت: دار صادر.
- صالح بن قربة. (2011م). *عبد المؤمن بن علي موحّد بلاد المغرب. دط.* الجزائر: موفم للنشر والتوزيع.
- صفيّة ديب. (2011). *التّربية والتّعليم في المغرب والأندلس في عهد الموحدين. دط.* الجزائر: كنوز الحكمة للنّشر.
- عادل نويهض. (1980م). *معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتى العصر الحديث. ط2.* بيروت: مؤسّسة نويهض الثّقافية.
- عبد الحق حمّيش. (2011م). *سير أعلام تلمسان. ط1.* الجزائر: دار التوفيقية للنّشر.
- عبد الرّحمن بن محمد الجيلالي. (1965م). *تاريخ الجزائر العام. ج2. ط2.* بيروت: منشورات دار مكتبة الحياة.
- عبد الرّحمن بن محمد الجيلالي. (1994م). *تاريخ الجزائر العام. ج2. ط7.* الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية.
- عبد الله كنّون. (1960م). *النّبوغ المغربي في الأدب العربي. ط2.* المغرب: التّراث المغربي الأندلسي للنّشر.
- عبد الواحد المراكشي. (1997م). *وثائق المرابطين والموحّدين. ط1.* مصر: مكتبة الثقافة الدّينية.
- عبد الواحد بن علي المراكشي. (2006م). *المعجب في تلخيص أخبار المغرب. ط1.* بيروت: المكتبة العصرية للنّشر والتّوزيع.

- علي ابن أبي زرع الفاسي. (1943م). *الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس. ط1*. أوبسال، السويد: دار الطباعة المدرسية.
- علي محمد محمد الصّلابي. (1998م). *دولة الموحّدين. دط*. عمّان: دار البيارق للنشر والتوزيع.
- لسان الدّين ابن الخطيب. (د ت). *الحلل الموشيّة في ذكر الأخبار المراكشية*. ط1. تونس: مطبعة التقدّم الإسلامي.
- مبارك بن محمد الميلي. (1359هـ). *تاريخ الجزائر في القديم والحديث. ج2. دط*. الجزائر: المؤسّسة الوطنية للكتاب.
- مجموعة مجموعة مؤلّفين. (2002). *الشّخصية الجزائريّة الأرضيّة التّاريخية والمحدّدات الحضارية. دط*. الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية.
- محمد المنّوني. (1977). *العلوم والآداب والفنون على عهد الموحّدين*. ط2. الرّباط: دار المغرب للتّأليف والنّشر.
- محمد المنّوني. (1989م). *حضارة الموحّدين*. ط1.الدّار البيضاء المغرب: دار توبقال للنشر.
- يحي ابن عبد المعطي. (2010). *ألفيّة ابن معطي في النّحو والصّرف والخطّ والكتابة. ط1*. القاهرة: دار الفضيلة للنّشر.